حيـــاة الرافعى

تقرير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

كتاب « حياة الرافعي » للأستاذ محمد سعيد العريان من أجدر الكتب الحديثة باحتفاء الأدباء ، وأحقها بأن يتناولها القارئ تناول تمعن ودرس ، وأن يقول الناقد فيه كلمة تضعه موضعه بين كتب العربية . « فحياة الرافعي » كتاب فريد في المكتبة العربية ليس له فيها شبيه ولم يُنسج على منوال سابق . وذلك لأن فن التراجم لم يستقم لأي من كتاب العربية حتى الآن . نعم إن في العربية كتباً فيها تراجم لشعراء وأدباء طالت أو قصرت لكنها ليست من ذلك في شيء ، إن هي إلا ذكر بعض أخبار الشاعر وتوادره أو بعض ما اتفق له مما يكون بين الإنسان وبين معاصريه . وقد تكون غالبية هذه الأخبار ملفقة مزورة صنعها الرواة إثباتاً لأمر يريدون إثباته أو تعالماً على غيرهم بأخبار الشعراء؛ أما الترجمة التي يقصد بها إلى تصوير المؤثرات التي خلقت أدب الأديب ووجهت شعر الشاعر ولونت فلسفة الفيلسوف ، فليس لها وجود في العربية قبل « حياة الرافعي » . ومن هنا وجب أن يحتفي الأدباء بهذا الكتاب إذ كثيراً ما تموت فنون من الأدب لأنها وجدت فلم يلتفت إليها أحد . فإذا كان أدب الرافعي فصلاً منقطع النظير في الأدب العربي ، فكتاب سعيد العريان عن الرافعي كذلك فصل منقطع النظير

والكتاب حقيق بأن يُحتفى به أيضاً لأنه عن الرافعي الذي أضاف إلى العربية ثروة ضخمة من المعاني والأساليب والبيان والفن ، ثم عقه أدباء عصره فما كان أحد منهم ينظر إليه أو إلى أثر من آثاره إلا بعين مطروفة . ذلك في حياته ، أما بعد وفاته فرحم الله أهل الوفاء . ولقد كتب أحدهم أخيراً مقالة عن أثر المرأة في أدباء العصر ، فذكر من شاء إلا الرافعي ، مع أن رسالة حزن أو سحابة حمراء أو ورقة ورد واحدة كافية لأن يضعه الإنصاف المزعوم في مقدمة من ذكر

وثمة ميزة أخرى لهذا الكتاب ، وهي أنه تاريخ حافل صحيح للأدب العربي في أحدث أطواره . يكشف بجلاء عن كثير من الحوادث التي أثرت فيه ووجهته ، ويوضح حوادث أدبية هامة مرت على أعين قراء العربية دون أن يتبينوا حقيقة دواعيها ، ولم يأخذوها على وجهها الصحيح . ثم هو تفسير لا بد منه لأدب الرافعي عامة ولعيون كتبه خاصة لا بد لفهمها من قراءة فصوله

ولقد قرأت « حياة الرافعي » منجمة على صفحات الرسالة ، ثم قرأتها مجموعة في الكتاب ، فكان لي فيها بعض الرأي ، أحببت أن أبديه في هذه الكلمة وفاء للرافعي ، وتقديراً لعمل أحد أولئك الشبان الذين يحسنون ويجيدون ثم يضيع إحسانهم وإجادتهم وسط دوي الأسماء الضخمة في هذا البلد

ولقد بينت فيما سبق قيمة الكتاب من حيث هو كتاب . على أن فيه حسنات أخرى كثيرة لو ذهب القارئ المتمعن يحصيها لاستغرقت مقالة على حدة. في الكتاب تمحيص للحوادث دقيق، وفيه اتزان ونزاهة في الحكم ، وفيه لطف في العرض ، وفيه أسلوب مشرق لا يستغرب من أحد أصحاب الإمام الرافعي ، وفيه ما يضطر القارئ الدارس إلى الالتفات والوقوف

على أن في الكتاب بعض ما كان ينبغي أن يسلم منه ، وهذا ما نحب أن ننبه إليه ، فإن جودة العمل محسوبة عليه في ميزان النقد ، والجمال المفرط يظهر أبسط القبح ، وأشد ما تكون النيابة إيلاماً أن تقف على وجه حسن

في الكتاب بعض هنات في الترتيب والتبويب ، أتت من أن المؤلف النابه كتب مادة كتابه مقالات في أول الأمر ، ثم لما

عنّ له أن يجمع تاريخه مسلسلاً فى كتاب تفيد بترتيبها فى المقالات فكان فى بعض فصول الكتاب ما هو قلق فى موضعه يحتاج إلى تقديم أو تأخير . فما موضع فصل « بين أهله » بين فصلى « شعراء عصره » و « من الشعر إلى الكتابة » ؟ أليس موضعه الطبيعى بعد « فى الوظيفة » حتى تتساوق فصول الرافعى الأديب ؟ والحديث عن الرافعى الشاعر موزع بين فصول عديدة متفرقة ولو جمعت كلها بعضها إلى بعض لكان أجدى على وحدة الكتاب . وفصل « شعراء عصره » هو أشبه بفصل « فى النقد » وقد نبه المؤلف إلى ذلك، فأشار إليه عند ما بدأ يتحدث عن الرافعى الناقد، وفصل « فى النقد » مجزأ غير متتابع لأنه نشر فى الكتاب كما كان فى المقالات ولم يدمج بعضه فى بعض؛ وفى أوائل الفصول كثير من وصل ما انقطع كان ضرورياً فى المقالات المتباعدة وهو فى الكتاب المتلاحق تعطيل للقارئ ومضايقة له ، وأشد ما يظهر ذلك فى فصل « فى النقد » ، وفى الكتاب بعض تعبيرات لا تتفق مع أسلوب كتاب كأن يقال : « وهذا له موضع غير هذا المقال » مع أن الكتاب لا يكون فيه مقالات وإنما يكون فيه فصول ، ولو لم يتقيد المؤلف بمقالاته فى الرسالة ذلك التقيد الشديد لقال : « وهذا له موضع فى غير هذا المقام » أو فى « غير هذا الفصل »

وفى الكتاب بعض الآراء والحقائق تستوقف نظر القارئ المتمعن ، نشير إليها على حسب ترتيب ورودها فى الكتاب

فى ص ١٣ إشارة إلى حارة سيدى سالم قال عنها المؤلف إنها « حارة ضيقة أوى إليها السيد البدوى أول ما هبط إلى طنطا منذ ألف سنة » . وقد كان قدوم السيد إلى طنطا فى سنة ٦٣٤ للهجرة أى منذ ٧٢٤ سنة فقط . وليس هذا من سلب الكتاب ولكنه مما يحسن تصحيحه

وفى ص ١٩ يقول المؤلف إن الرافعى « كان بلغته ولهجته كأنه لم يقدم من سورية إلا منذ قريب » وهو قول لا أظن الأستاذ يعنى به ما يفهمه القارئ منه ، فإن لهجة الرافعى — كما سمعناه يتحدث — لم يكن فيها أى أثر للهجة السورية . وكل ما يستغرب منها هى تلك النغمة الحادة التى تشبه الصراخ ، والتى أشار المؤلف إلى أنها من آثار ذلك المرض الذى أصابه فى شبابه ، فيا حبذا لو أعاد الأستاذ تحقيق هذه النقطة بالرجوع إلى تصوره وهو أعلم بها على كل حال .

وأسند المؤلف النابه فكرة الحب عند الرافعى إلى ما قرأ من أشعار العذريين من شباب العرب . فهل لم يقرأ الرافعى غير أشعار العذريين مع كثرة ما تناول من دواوين الشعراء . ولماذا لم يتأثر بشعراء « الأغانى » وقد قرر الأستاذ أنه كان دائم النظر فى هذا الكتاب وفيه من الشعر والأخبار ما فيه . أليس الأجدر أن يسند ذلك إلى نشأته الدينية التى أشار إليها المؤلف (ص٢٢) وإلى تقاليد أسرته وإلى أنه نشأ تبعاً لكل ذلك « عفيف النظر والشفة واللسان »

ثم ألا يرى المؤلف معى أن عدم شهرة الرافعى بين عامة القراء ليست راجعة إلى أنانه وشدة تأنقه فيما يكتب وما ترتب على ذلك من عدم إكثاره من النشر فى الصحف، بقدر ما ترجع إلى بعده عن تملق الجمهور واحتفاظه بأرستقراطية أدبه ، وأنه فضل لقرائه ولنفسه أن يرتفعوا هم إليه على أن ينزل هو إليهم ، كما أظن أنى قرأت له فى بعض أحاديثه من زمن بعيد .

(البقية فى العدد القادم) أبو الفتوح رضوان

الغدد والحياة

الغدد هى مصدر القوة والشباب الدائم . والأطباء فى كل العالم يهتمون بالغدد ويصفون لها المقويات والأدوية التى تساعدها على المحافظة على جسم الإنسان

إن سر الشباب وسر القوة والحيوية فى الجسم هى فى هذه الغدد التى تفرز الهرمونات وتجعل الإنسان نشيطاً قوياً خصباً

إن أقراص فيدا — جلاند تحضير معامل إلن وهنبريس فى لندن هى أفضل علاج مضمون لتقوية الغدد — خذ هذه الأقراص حسب التعليمات داخل كل زجاجة فتستفيد فائدة عظيمة وتعود لك قوتك ونشاطك .

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسس الدكتور ماجنوس تير شفلد فرع القاهرة بعمارة رولو قسم ٤٦ شارع الزاوية نمرة ٥٢٥٧٨ يعالج جميع اضطرابات وأمراض الرجال والنساء وتجديد الشباب والشيخوخة المبكرة . ويعالج بصفة خاصة : بمعاونة الحاسة الأصعب على الطريق العلمية والعيادة من ١٠ ص و ٤-٦ . ملاحظة : يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للتعهد بعيد أعز الفائدة بعد أن يجيب أعلى بحرف الرسائل البيكار الرجاء المجردة على ١٥١ سؤالاً التى يكون السؤال عليها نظير ٥ قروش